



الكتاب

يا ربِّ باسمِكَ في عَزِيزِ عَلاكَ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيَّ نَبِيٍّ هُدَاكَ
نَفْسِي وَرُوحِي وَالفِؤَادُ فِدَاكَ
وَمَنْ الجَلالِ مَعَ الجَمالِ سِوَاكَ !!
أَقَسَمْتُ مَنذُ "أَلَسْتُ" حِينَ سَمِعْتُمْ
وَ الكُلُّ يُسجِدُ .. لا يَرى إِلَّاكَ
إِنِّي أَحِبُّكَ .. بل عَشِقْتُكَ وَإِلِهاً
وَ الغَيْرُ مَهْمَا كانَ .. بَعْضُ سِناكَ
وَسجَدْتُ .. قُلْتُ: "بَلَى" .. فذابتْ مُهْجَتِي
وَ بَقِيَتْ مَذهُولاً بِصوتِ نِداكَ
وَ تَبَعَثَرَتْ رُوحِي لِعِزِّ جِمالِكُمْ
وَ تَفَتَّتَ القَلْبُ المُحِبُّ هَلاكَ

ما غيركم شاهدت منذ خلقتني
والكل هلكي زائلون .. عداكا

قال الرسول عليه صلى ربنا :
إحمِدْ و لبّ .. شاكراً مَوْلاكا

فأجبتُ: "بلى" .. وألفُ "بلى" لكم
أنا شاهدُ ربِّي لِعِزِّ عَلاكا

قيلَ: استقمْ و انهضْ .. فقلتُ: عبودتي
لك .. لا شريكَ لِعِزِّكمْ و حِمَاكا

قيلَ: استقمْ .. فأجبتُ: كيف؟ فقيلَ: كُنْ
"لمحمّدٍ" ظلاً .. فقد زكّاكَا

قلتُ : الفقيرُ !! و هل لذاتي حيلةُ
أنا عبدٌ فضلٌ صورتهُ يداكَا
قيل : الرسولُ " محمدٌ " هو كِفْلُكُمْ
و لسوفَ تعرِفُ أنه رَبَّاكَا
فالزمُ نعالَ " مُحَمَّدٍ " .. تحظى بهِ
و لسوفَ دوَمَا بالهدى يرعاكَا
نورى .. وَ ظِلِّي فى الوجود .. " محمدٌ "
إن يحتويك تفرُّ .. و ذاك كفاكَا
أو تحتويه إن استطعت .. تكن بهِ
فلكاً تدورُ .. و تعتلى الأفلاكَا

أَقْبَلْتُ نَحْوَ "المُصْطَفَى" ..مُسْتَعِطِفًا
وَلَثَّمْتُ أَقْدَامَ النَّبِيِّ هُنَاكَ
وَجَثَّمْتُ تَحْتَ نَعَالِهِ ..مَتَرَجِّيًا
وَمُطَاطِبًا ..لَا أُسْتَطِيعُ حِرَاكًا
وَالنُّورُ يَخْرُجُ مِنْهُ ..يَعُشَى الكونَ
كُلَّ الكونِ .. حَتَّى الجِنِّ وَالْأَمْلَاكَا
نَادَيْتُ : يَا قَلْبَ الفِؤَادِ وَرُوحَهُ
وَالقَلْبُ .. وَاللهِ العَظِيمِ ..حَوَاكَا
وَالجِسْمُ وَالْعَظْمُ الَّذِي فِيهِ ..أُنْتَشَى
رُوحِي ..وَقَلْبِي ..وَالنُّهَى ..يَهْوَاكَا
مِنْ قَبْلِ خَلْقِي قَدْ قَتَلْتُ بِحُبِّكُمْ
وَلَكُمْ أُبَايِعُ ..إِنْ قَبِلْتِ ..عَسَاكَا

ما زلتُ حيثُ أُمُرتُ.. أَلِثْمُ نَعْلِكُمْ
كالظِلِّ .. في نورٍ .. علاهُ سَنَاكَا
في بَرَزَخِي .. ما زلتُ فيكُمْ هائِماً
حيثُ التَّفَتُّ بناظِرِيَّ .. أَرَاكَا
والخَيْرُ مِنْكَ عَلَيَّ .. غَيْثُ مُغْدِقُ
يُسْرَاكَ تَسْبِقُ بالندَى يُمْنَاكَا
في كلِّ حالٍ كُنْتُهُ .. أَنْتُمْ مَعِي
حَتَّى عَجَزْتُ يَمُهَجَتِي إِدْرَاكَا
لا فِعْلَ لِي .. بل لا وُجُودَ لصورَتِي
أنا مِنْكَ قَطْرٌ .. مِنْ كَرِيمِ نَدَاكَا

إِن قِيلَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: سَأَلُوا الَّذِي
قَدْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخْفَاكَ
خَبَائِطُكُمْ عِنْدِي .. فَلَا خَلْقٌ دَرَى
مِنْكَ الْحَقِيقَةَ .. غَيْرُ مَنْ أَبْرَاكَ
حَتَّى يَحِينُ الْوَقْتُ .. حَيْثُ سَتَّجَلِي
كُلُّ الظُّنُونِ .. وَتَنْتَهِي شُكُوكَا
وَالْأَمْرُ يَوْمئِذٍ .. لِرَبِّ قَاهِرٍ
وَلَنَا اللُّوَاءُ .. تُحِيطُهُ يُمْنَاكَ
بِاسْمِي وَبِسْمِ اللَّهِ قَبْلًا
تَعْتَلِي عَرْشَ الْجِهَادِ .. مُطَهَّرًا دُنْيَاكَ
وَ سُرُوسِلُ "الْخِضْرَ" الْحَبِيبَ مُؤَيَّدًا
وَمُعَلِّمًا مَا لَمْ تُحِطْ إِدْرَاكَ

يَدُوُّ الْأُمُورِ بِنَا .. وَنَخْتِمُهَا بِنَا
و "الْخَاتَمُ الْمَهْدِيُّ" لَيْسَ سِوَاكَ
و يَكُونُ فِعْلُكَ .. مِثْلَهُ حَتَّى يَقُ
وَلُ الْجَاهِلُونَ: طَعَى عَلَيْكَ هَوَاكَ
فَانْهَضْ : وَقُلْ يَا رَبِّ أَيْدِ عِبَادِكُمْ
وَعَلَى أَكْثَرِ الصَّلَاةِ نِيدَاكَ

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الرُّسُلِ
صَدَقَ الَّذِي بِالْحَقِّ قَدْ أَسْمَاكَ
"مَحْمُودُ رَبِّي" .. فِي الْكِتَابِ "مَحْمُودٌ"
وَلِوَاءُ حَمْدِ اللَّهِ .. قَدْ أَهْدَاكَ

جَلَّ الْإِلَهِ .. وَعَزَّ فِي عُلْيَائِهِ
أَنْتَ الْحَبِيبُ .. وَلَمْ يَفْزُ إِلَّا كَا
مَهْمَا يَشِيدُ الْعَارِفُونَ بِفَضْلِكُمْ
أَوْلَى بِهِمْ أَنْ يَصْمُتُوا إِمْسَاكَ
مَا شَاهَدُوا إِلَّا عَلَى أَقْدَارِهِمْ
وَلَكُلُّهُمْ مِنْ نُورِ ذَرَّةٍ تَرَكَكَ

يَا سَيِّدَ الرُّسُلِ الْكِرَامِ عَرَفْتُمْكُمْ
قَدْرًا مَهِيْبًا .. لَا تُطَالُ سَمَاكَ
وَرَأَيْتُ فِيكَ اللَّوْحَ .. وَالْقَلَمَ الَّذِي
يُحْصِي الْأُمُورَ .. سَكِينَةً وَحِرَاكَ

ورأيتُ في "أمّ الكتاب" .. صحائفاً
فيها القضاء .. مفصلاً وشبّاكاً
ورأيتُ فيك .. قديمنا .. وحديثنا
وفهمتُ معنى .. "المصطفى" .. إذاً
ورأيتُ فيك "الكوثر" المهدى لكم
فضلاً .. و سبحان الذي أعطاك
ورأيتُ في "السبع المثاني" سرّكم
أمّا "الكتاب" .. فإنه فحواك
يا جنتي .. و النارُ بُعدى عنكم ..
و نعيمُ رُوحى .. حُبُّكم و رضاك
أنا لا أذيعُ السرَّ .. لكن أحتسى
أنوارَ بحرِك .. آملاً لُقياك

فَرَشَحْتُ قَطْرًا .. مِنْ جَمِيلِ كَمَالِكُمْ
و كَتَبْتُ مَا هَمَسَتْ بِهِ شَفَتَاكَ
أَنَا لَسْتُ أَحْلَمُ .. لَا وَلَا وَهْمٌ طَعَى ..
لَكِنْ بِكُلِّ حَقِيقَتِي أَرْعَاكَ
مِنْكَ الرِّسَالُ لِي .. وَمَنْ حَوْلِي
لَهُمْ مِنْكُمْ إِلَيَّ بِشَائِرُ يَرْضَاكَ
لَا الْقَوْلُ مَنِّي .. بَلْ عَرَفْتُ مُؤَكَّدًا
مِنْكَ السُّطُورُ وَ كَيْفَ يَنْطِقُ فَاكَ
مِنْ حَضْرَةِ الْقُدْسِ "الْمُحَمَّدِ" نُورُهَا
قَالُوا: الرَّسُولُ قَدْ اصْطَفَى وَ حَبَاكَ
مَا أَنْتَ إِلَّا عَبْدٌ فَضْلٍ عِنْدَنَا
وَ "مُحَمَّدٌ" بِالْفَضْلِ قَدْ زَكَّاكَ

أَوْصَىٰ بِكُمْ "آلًا" .. و"صَحْبًا" .. نورهُمُ
مِنْ سِرِّهِ .. و"الخِضْرُ" مِنْهُ أَتَاكَ
هُمُ فَيْكَ بِالْأَسْرَارِ .. حَتَّىٰ أَنْتُمْ
تُهْتَمُّمُ فَلَا تَدْرِي .. مَنْ اسْتَوْصَاكَ
وَالكُلُّ فَيْكَ مُحَدَّثٌ وَمُوجَّهٌ
و"الخِضْرُ" .. يَسْكُنُ جِسْمَكُمْ وَنُهَاكَ
فَنَرَاكَ مَيْتًا .. قَدْ حَيَّيْتَ بِنُورِهِمْ
فَيْكَ الْجَمِيعُ .. يُسَيِّرُونَ خُطَاكَ
لَا قُوَّةَ فَيْكُمْ .. وَلَا حَوْلَ لَكُمْ ..
أَفُنُوكَ .. حَتَّىٰ جِسْمَكُمْ وَهَوَاكَ
حَتَّىٰ "هُوِيَّتَكُمْ" .. طَوَيْنَا سِرَّهَا
حَتَّىٰ تَحْيِرُ مَنْ سَعَىٰ لِيَرَاكَ

و لسوف تعرفُ .. حينَ يأذنُ ربُّكم
و يؤيِّدُ المولىَ بنا دَعْوَاكَ
فاصبرْ و صابرْ و اصطرِّبْ .. حتَّى ترى
شأنًا عظيمًا .. يَحْتَوِي دُنْيَاكَ

ياربِّ صلِّ على حبيبيك دائماً
أبدًا صلاةً .. مِنْ عُلَا عُليَاكَ
تَرْضَى بِهَا عَنَّا .. وَيَرْضَى "المصطفى"
و تكونُ لي كنزاً .. لِيَوْمِ لِقَاكَ
يا سيدَ الرُّسُلِ الكرامِ .. أتيتُ لا
أرجو - وَ حَقَّ اللهُ - غيرَ رِضَاكَ

مَا رُمْتُ مِنْ دُنْيَا وَلَا أُخْرَى سِوَى
أَنْ أَسْتَنِيرَ بِنُورِكُمْ وَبِهَآكَآ
وَالسَّعْدُ كُلُّ السَّعْدِ .. يَوْمَ تَجُودُ لِي
فَضْلاً .. وَتَرْفَعُ سِتْرَكُمْ فَآرَاكَآ
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ الْمُعَلَّى ذِكْرُهَا
يَا جَنَّتِي .. وَالكَوْنُ بَعْضُ نَدَاكَآ
مَا عُدْتُ أَعْرِفُ حِينَ أَذْكَرُ حُبَّكُمْ
كَيْفَ الْحَدِيثُ يَطْوِلُ بَعْضَ سَنَاكَآ
أَنَا سَيِّدِي مِنْكُمْ .. وَأَصْلِي رُوحَكُمْ
أَنَا لَا أَرَى فِي مُهْجَتِي إِلَّا كَا
أَنَا لَا أَحْسُ سِوَى بَأْنِي نَعْلَكُمْ
شَرْفًا تُلَاصِقُ طِينَتِي قَدَمَا كَا

فَاتِيهِ فِي شَرَفٍ .. وَ أَعْلُو سَاجِدًا
وَ الْكَوْنُ تَحْتِي .. لَا أَرَى أَفْلَاكَ
يَا سَيِّدِي .. كَمْ مِتُّ شَوْقًا .. وَ الَّذِي
نَبَأَكَ .. ثُمَّ حَيَّيْتُ فِي لُقْيَاكَ
يَا سَيِّدِي .. أَنَا مِنْكُمْ .. أَحْيَا بِكُمْ
لَا عَيْشَ لِي .. إِلَّا بِنُورِ هُدَاكَ
تَسْرِي بِأَنْفَاسِي .. وَ تَمْلِكُ مَهْجَتِي
وَ تُحْيِي سِرًّا بِطَيْبِ نَدَاكَ
يَا سَيِّدِي .. إِنِّي سَأَلْتُكَ رَاجِيًا
أَنْ أَسْتَزِيدَ يَقْرَبِكُمْ وَ سَنَاكَ
فَاكْشِفْ حِجَابًا .. كَيْ تَرَكَ بَصِيرَتِي
بَلْ حَيْثُ يُبْصِرُ نَاطِرَايَ أَرَاكَ

أنا ظلكم يا سيدي .. لِحَقِيقَةِ
كيفَ الحِياةُ لِظِلِّكمُ بِسِوَاكا !!
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ
حَتَّى يُقَالَ: حَبِيبُكُمْ أَحْيَاكَ
لَا تَنْبَغِي لِلخَلْقِ مَهْمَا يَرْتَقِي
رُوحاً .. فَيَعْرِفُ قَدْرَكُمْ وَسَنَاكَ
فَأَكُونُ مُنْفَرِداً بِهَا مُتَوَحِّداً
حَتَّى يُقَالَ: حُبَيْتَ مِنْ مَوْلَاكَ
أَبْشِرْ .. فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ كُنْزُكُمْ
مَا طَالَهَا مِنْ خَلْقِنَا .. إِلَّا كَا
أَنْتَ الحَبِيبُ "لِجَدِّكُمْ" .. قَدْ خَصَّكُمْ
بِالسَّرِّ مِنْهُ .. وَزَادَكُمْ إِدْرَاكَ

فِي عَيْشِكُمْ .. فِي مَوْتِكُمْ .. فِي قَبْرِكُمْ
وَتَزِيدُ فِي أَنْوَارِكُمْ .. وَسَنَاكَ
مُتَفَرِّدًا .. فِي يَوْمِ بَعْثِكَ .. سَاجِدًا
فِي نُورِ " جَدِّكَ " .. بِاسْمِهَا .. يِرْعَاكَ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ حَتَّى يَرْتَضِيَ
مِنْكَ الصَّلَاةَ .. فَتَزِدْهُيْ أُخْرَاكَ
وَتَظَلُّ تُنْشِدُ شِعْرَكُمْ فِي غِبْطَةٍ
مُتَغَنِّيًا .. فَضْلًا بِمَا أَهْدَاكَ
نَفْسِي .. وَرُوحِي .. وَالفؤادُ فِداكَ
وَمَنْ الْجَلالُ مَعَ الْجَمالِ .. سِوَاكَ !!

*

(٦٢)

من شعر عبد الله / سلام الدين القوصي
غرة شوال ١٤٢٣ هـ - ديسمبر ٢٠٠٢ م

